وزير الامبراطورية الالمانية

ابان الاستاذ داود ستار جوردان في المقالة المنشورة آنفاً ما هو الدافع الاصلي لاثارة الحرب الحاضرة . وادلتهُ على ذلك من اقوى الادلة لكنهُ كاد يبرئُ الامبراطور ووزيرهُ من المسؤولية . وقد وقفنا على مقالة اخرى لكاتب سياسي من المحايدين نشرتها مجلة لندن يظهر منها انهُ من كبار رجال السياسة ومن عشراء وزير الامبراطورية الالمانية قال فيها ما خلاصتهُ

ان الدكتور بتمن هالفغ يُعَدُّ الآن ثانياً للامبراطور المانيا ويُحسب لهُ شأن كبير فيما تطمح اليهِ انظار الالمان من الاستيلاء على المسكونة . وقد لقيتهُ اول مرة منذ ٢٥ سنة في مونخ حيث كنت ضيفاً مع بعض الرفاق وكان حينئذٍ موظفاً في وزارة المالية كاتباً يراتب لا يزيد على ١٨٠ جنيهاً في السنة

كان في نحو الخامسة والثلاثين من عمرهِ طويل القامة كثير الحياء نفوراً من الناس كأن غرضهُ الاول ان يبقى بعيداً عنهم . قضى اكثر وقتهِ وهو في بيت مضيفهِ في مكتبتهِ بين كتبها الكثيرة وكان هذا شأني انا ايضاً اي اني قمت اكثر الوقت معهُ في مكتبة مضيفنا فتمكنتُ من التغلُّب على ما بهِ من الوحشة فآنس بي بعض الشيء . وكنت اكبر سنهُ سنًّا ولكنني رأيتُ انهُ يجد التكلُّم معي اسهل عليهِ من التكلُّم مع الضيوف الذين من سنهِ لان اكثرهم من الضباط الذين لا جامعة بينهُ وبينهم

وكان قد تلقى دروسهُ في جامعة بون وبرَّز على الاقران فيها ولو اتَّبع ميلهُ الطبيعي لانقطع للعلوم الفلسفية لكن والديهِ لم يرضهما الاَّ انتظامهُ في سلك رجال الحكومة فعمل حسب مشيئتهما على جاري عادة الالمان

ولما لقيتهُ لم يكن يحسب انهُ يرتقي الى منصب عالٍ وكانت اعمالهُ في الديوان قليلة فانهُ كان يعمل من الساعة العاشرة صباحاً الى الرابعة بعد الظهر فيبقى في سعة من الوقت للدرس والمطالعة وكان من المنتظر انهُ يرتقي الى اعلى منصب في المكان الذي هو فيهِ وراتب هذا المنصب ٦٠٠ جنيه في السنة

لما كان يدرس في جامعة بون كان الامبراطور الحالي ولياً للعهد وكان يتلقى دروسهُ فيها ايضاً . وقد اخبرني ونحن في المكتبة المشار اليها آنفاً بامر حدث لهُ وهو في السنة

الثانية في جامعة بون نبه ولي العهد اليه ولعلهُ كان السبب لاختياره اخيراً وزيراً للامبراطورية لالمانية وما ترتب على ذلك من اثارة هذه الحرب. فانهُ كان من اعضاء جمعية الخطب والمباحثات في تلك الجامعة ولم يكن يحسن الخطابة فكان يحضر الجلسات ولا يشترك فيما يدور فيها من البحث والمناظرة لكن رئيس الجمعية (وهو الآن وزير المستعمرات) اقتمهُ ذات يوم ان يشترك في مباحثة موضوعها مستقبل الامبراطورية الالمانية وحضر ولي العهد تلك المباحثة فلما جاء دور هلفغ وقف والتفت الى الرئيس ثم الى الاعضاء وكأنهُ نسي كل ما كان عازماً ان يقولهُ مع انهُ كان قد كتبهُ واستعدَّ لهُ فقال «المانيا» ووقف ثم قال «المانيا» ثانية ووقف ثم قال «المانيا» ثالثة وحصر عن الكلام وجلس خجلاً. فاستدعى الرئيس واحداً آخر طلق اللسان فنهض حالاً وتكلَّم مرتجلاً. ولما انتهت المباحثة استدعاهُ ولي العهد الى غرفته. وهاذا مورد ما قالهُ لي في هذا الصدد بحرفهِ قال

«لما بلغني طلب ولي العهد لي ظننتُ انهُ يريد ان يوبخني لانني تجاسرت على الوقوف للتكلم في هذه الجمعية وانا لا استطيع الكلام وهي ذات مقام رفيع وكان ولي العهد يحسب لها شأناً كبيراً. ولما دخلتُ غرفتهُ وجدتهُ وحدهُ فحيَّاني بلطف زائد وجعل يتكلم عن المباحثة فحاولتُ ان اعتذر بانني كنتُ اعلم قصوري وضعفي ولم اتجاسر على النهوض للكلام الاَّ طاعة لامر الرئيس وبسبب الحاحهِ. فقاطعني وقال لي «اني اعلم ذلك كلهُ ومرادي ان اقول لك ان الكلمات الثلاث التي قلتها اي المانيا المانيا المانيا هي ابلغ خطبة سمعتها هذا المساء لانها عبَّرت عن مستقبل المانيا احسن تعبير» ودعاني للعشاء معهُ تلك الليلة فتعشيت وبعد العشاء اريتهُ الخطبة التي كتبتها قرأها وقال ان كلماتي الثلاث اوقع في نفسهِ منها

والظاهر ان الامبراطور لم ينسَ ذلك لان ارتقاء هلفغ كان سريعاً جداً وصار الامبراطور يدعوهُ اليهِ من وقت الى آخر و ينزلهُ عندهُ ضيفاً ولكن لما لقيتهُ انا في موضع لم يكن يعلم شيئاً مما اضمرهُ له. وكانت عرى الصداقة وثيقة حينئذٍ بين انكلترا والمانيا واذكر اني ذكرتُ في الليلة الاخيرة من قيامنا هناك اسم انكلترا فقال «اني آمل ان ازورها قريباً» ثم قال كأنهُ يخاطب نفسهُ «لولم اولد بروسيًّا لوددت ان اولد انكليزيًّا»

ومن الغريب انهُ صار بعد اقل من ربع قرن آلة في يد الامبراطور للعمل بسياسة مقتضاها القضاء على الامبراطورية البريطانية

ثم لقيتهُ مراراً كثيرة بعد ذلك وعرفتهُ معرفة تامَّة وسأقتصر فيما يلي على ما سمعتهُ منهُ وما سمعتهُ عنهُ من اقرب المقربين اليهِ وما عرفتهُ بنفسي من امورهِ . وانا واثق انهُ لم يتطلَّب في اوليات ايامهِ صداقة الامبراطور فبعد ان لقيتهُ اولاً بضع سنوات جاءتهُ دعوة من الامبراطور او امر منهُ ليتعشى معهُ ببرلين فحضر في الميعاد وجلس على مائدة مستديرة عليها الامبراطور والامبراطورة وبعض اعضاء البيت الامبراطوري . وقد قال لي في هذا الصدد ما نصهُ : « لا اظن انني قضيت في حياتي كلها عشيَّة تضايقتُ فيها اكثر مما تضايقت تلك العشية فانني كنت مضطرًّا ان اشرب الشمبانيا دواماً وانا اكرهها . وقد دهشتُ جدًّا من نوع القصص التي كان الامبراطور والذين معهُ يقصونها على مسمع الامبراطورة وظننت ان كل احد حسب اني في منتهى البلادة لانني لا اقصُّ قصصاً مثلها . ولما انتهى العشاء وكنت قد شربت من الشمبانيا الى حد السكر امر الامبراطور خادماً ان يملأ كأسي ثم رفع كأسهُ الى فيهِ وقال الـــ اليك يا هلفج نشرب هذا على ذكر الجامعة التي تعلمنا فيها . فاضطررت ان اجاريهُ واشرب كأسي كلها فاصابني صداع شديد كل اليوم التالي »

هذا كان اول اجتماع اجتمع فيهِ بالامبراطور بعد مغادرتهما المدرسة . والتقيت انا بهِ مرةً في بيت البرنس فرستنبرج ببرلين وذكَّرتهُ بما اخبرتهِ عن عشائهِ الاول مع الامبراطور فنظر اليَّ شزراً وقال « يستحيل ان اكون قد قلتُ هذا القول عن جلالتهِ » . والظاهر انهُ كان قد رأى من الامبراطور ما اوجب عليهِ ان لا يذكر اسمهُ الاَّ بالتجلة والاكرام حتى لاعز اصدقائهِ فان نِعَمَ الامبراطور التي توالت عليهِ جعلت لسانهُ واستعدتهُ والاحسان يستعبد الانسان ولولا ذلك ما انقلب هذا الانقلاب وصار يحمل من الاعمال ما كان يكرههُ او يتجنبهُ . ومثال ذلك ان رجلاً اسمهُ البارون هرهستين وهو من اصدقاء الامبراطور وانسبائهِ الابعدين كان غنيًّا جدًّا وبخيلاً للهذر والمزاح حتى يستحق ان يسمَّى ضحَّاك القصر الامبراطوري . وكان الامبراطور يسر جدًّا بحديثهِ ونكتهِ وقد اخبرني هلفج انهُ لم يكن يطيق هزل هذا البارون ولكنهُ اضطر ان يضيفهُ ويستضيفهُ مراراً كثيرة اكراماً لخاطر الامبراطور . وذات ليلة كان هلفج يتعشى عندهُ مع الامبراطور وبعض رجال حاشيتهِ ودار احدث والهزل وافحك وهلفج جالس كالصنم لا يأكل ولا يتكلم فالتفت اليهِ البارون وقال لهُ مالك أمريض انت . فاجاب انا مثل صاحب الجلالة . فقال الامبراطور ان كنت مثلي فانت في اجود صحة . فقال اذا كنتم جلالتكم كذلك فلا يكون عبدكم الاَّ معافى . فالتفت اليهِ البارون وقال لهُ اوضح لنا ما تقول . فقال الامبراطور انا فهمت مرادهُ

ثم التفت اليهِ وقال لهُ خير لك ان تمضي الى بيتك . فقام ومضى . وكان مرادهُ انهُ ان كان الامبراطور راضياً بهذا المزل المعيب فهو مضطر ان يرضى بهِ (وكلة مريض عندهم تحتمل معنى المرض ومعنى الكدر مثل كلة غير مبسوط العامية عندنا فاستعملته هنا بمعناها الرضي ومعناها الاستعماري) . وقد قصَّ عليَّ هذه القصة رجل من رجال السفارات الاجنبية في برلين كان مدعوًّا للعشاء ايضاً

ولا شبهة ان هلنغ اضطرَّ ان يجاري الامبراطور ورجال الحزب الحربي والحزب السياسي مثل فلكنهين وهندنبرج والبرنس بولو وغيرهم بعد ان كان مناقضاً لجعل القوة الحربية الدعامة العظمى للسلطنة

وكان رأي هندنبرج فيهِ ضعيفاً جدًّا وقد سمعتهُ مرةً يقول «ان هلنغ لا يصلح لغير الدرس والمطالعة فانهُ يفهم الكتب ولكنهُ لا يفهم الرجال وحسبي الذي نفق بالاسس اقدر منهُ على فهم الرأي العام» وكان ذلك في وليمة اولمت بعيد تعيين هلنغ رئيساً لبرمبرج سنة ١٩٠٢ ولا شأن لهذا المنصب لذاتهِ ولكن صاحبهُ يتدرَّج الى اعلى المناصب في الامبراطورية الالمانية

وذات يوم كان هندنبرج وهلنغ ضيفين عند ولي العهد في قصر مارسور ودار البحث وهم يتغدون على اطالة المناورات الحربية اسبوعاً ولم يشترك هلنغ في البحث الاَّ بعد ما سألهُ ولي العهد عن رأيهِ فقال اني لا اعرف كثيراً عن هذا الموضوع ولكنني لا ارى سبباً موجباً لاطالة مدة المناورات

فقال هندنبرج «لا اظن ان هلنغ يرى سبباً موجباً لشيء الاَّ قراءة كتاب لا يفهمهُ احد غيره» فانكر ولي العهد ذلك على هندنبرج ولكنهُ تلطف في الانكار

ومن الغريب ان هلنغ وهو عالم وفيلسوف اقام سنين كثيرة مصافياً لولي العهد وهو جاهل غرور متدعٍّ . وقد يقال ان هلنغ سار في السبيل المؤدي الى اسمى المناصب السياسية فاضطر ان يحاسن ولي العهد ولكن تدل الدلائل على انهُ كان يحاسن ولي العهد ويجاريهِ لمودَّة حقيقية بينهما . وقد تداولت الالسن قصة تدلُّ على ما بينهما من اواصر الوداد وذلك ان امرأةً في نحو الثلاثين من عمرها قتلت عشيقها في برلين لانهُ هجرها فحوكمت واعترفت بما فعلت فحكم عليها بالقتل وأُبدل العقاب بالاشغال الشاقة مؤبداً ثم أُطلق سبيلها بعد بضعة اشهر على شرط ان لا تقيم في المانيا . ويقال ان هلنغ كان حينئذٍ في وزارة الداخلية

وانهُ تولى النظر في امرها مرضاةً لولي العهد لان هذا كان يعرفها منذ كانت مغنية فاقنع الامبراطور بالعفو عنها . والظاهر ان تصرُّفهُ في هذه المسألة من غير « قيل وقال » رفع قدرهُ في عيني ولي العهد

والخلاصة ان بتمن هلفغ ارتقى الى اعلى منصب في الامبراطورية الالمانية لا لانهُ امتاز على غيره بدهائهِ السياسي بل لان امبراطور المانيا اصطنعهُ . وقد تدرَّج في الارتقاء من منصب الى آخر من غير ان يشتهر اسمهُ او ترشحهُ الامة الالمانية فلم يكن لها يد في ارتقائهِ كما لا يكون لها يد في جعل الامبراطور يشتري هذا الفرس اذ ذاك الخروف . ومن ثمَّ يتضح كيف ان الحكومة الالمانية حكومة مطلقة زمامها في يد رجل واحد مطلق التصرُّف على ضد ما هي عليهِ الحكومة الانكليزية . والشعب الالماني خاضع لامبراطورهِ خضوع الولد لابيهِ وليس لهُ رأي سياسي خاصٌّ بهِ بل رأيهُ ما يريدهُ الامبراطور

وسنة ١٩٠٥ جُعل هلفغ وزيراً للداخلية في بروسيا وحينئذٍ عرف جمهور الشعب اسمهُ ثم جُعل مساعداً لوزير الامبراطورية وكان البرنس بولو . ولما كان هلفغ وزير الداخلية انطبع بطابع الحزب الحربي ثم تطرَّف في مذهب الجامعة الالمانية حتى قال البرنس بولو . سمعتهُ يخطب في مونخ سنة ١٩٠٨ فقال انهُ لاشيءٌ يقلق بال المانيا الآن من حيث علاقاتها الخارجية ولكن حاضرها ومستقبلها كدولة عظيمة يجب ان يتعلقا على قوة ذراعها . وذراعها الآن اقوى مما كانت في اي وقت كان ومع ذلك يجب ان تزيد قوةً

وكانت تلك الخطبة من الخطب التي يسرُّ بها الامبراطور في الفخر والتحدّي . والواقع ان الامبراطور اعدَّها لهُ وامرهُ ان يلقيها لتكون درساً للبرنس بولو فان الامبراطور لم يكن راضياً عنهُ حينئذٍ . ومَن يطَّلع على الحوادث التي حدثت بعد ذلك الحين يرى فيها بوادر الشر والاسباب التي انتجت هذه الحرب فان البرنس بولو رأى حينئذٍ ان الامبراطور انقاد الى الحزب الحربي انقياداً تامًّا ولم يكن هو على رأيهِ ومن المحتمل انهُ لو بقي وزيراً للامبراطورية لما نشبت الحرب . وكانت الدوائر السياسية في برلين تعلم أن البرنس بولو بعد الامبراطور عن الانقياد الى الحزب الحربي وهو الذي طلب منهُ سنة ١٩٠٨ ان لا يفوه بخطبة ما لم يرَها هو اولاً ويصادق عليها . لانهُ كان يتكلم من وقت الى آخر بما يخطر لهُ فيقيم اوربا ويقعدها . وقد طلب البرنس بولو ذلك منهُ كتابةً فاستدعاهُ الامبراطور اليهِ ولا يُعلَم ما دار بينهما من الحديث حينئذٍ ولكن البرنس فورستنبرج اخبرني

انهُ لما رأى للامبراطور ان البرنس بولو مصمم على ما كتبهُ وعازم على الاستعفاء اذا لم يجبهُ الامبراطور الى طلبهِ وضع يدهُ على كتفهِ وقال لهُ « اني اذا جادتك الآن كما اجلد فرسي وامرتُ خدمي ان يخرجوك من هنا رفساً بافدامهم فيكون ذلك عمَّا تستحقهُ ولكنني عازم ان ابقيك في منصبك الى ان اطردك منهُ طرداً في الوقت المناسب »

وهذه آخر مرة قابل فيها البرنس بولو الامبراطور منفرداً لكن ما طلبهُ من الامبراطور ارفعهُ في حيرة لانهُ لم يجد من بعينهُ وزيراً للامبراطورية بدلاً منهُ ويرضى ان يكون آلة في يديهِ ويد الحزب الحربي يتكلم بلسانهما ويعمل حسب مشيئتهما الاَّ بتمن هلنغ . ولم يكن مقتنعاً انهُ كفوء لهذا المنصب فاضطرَّ ان يعمل بما طلب منهُ البرنس بولو وصار يعرض خطبهُ كلها عليهِ قبلما يفوه بها فاستراحت اوربا برهة من الزمن وكان الراسخ في الاذهان ان هذا الامر لا يطول لانهُ يتعذر على الامبراطور ان يرضخ لحكم وزيرهِ طويلاً فلا بدَّ لهُ من عزلهِ ولو لم يكن احد يصلح للقيام في مكانهِ ولكن رسخ في الاذهان ايضاً انهُ اذا عُزل البرنس بولو زال آخر قيد يقيد الامبراطور عن الجري على مقتضى طبعهِ وحبهِ للحرب وطمعهِ في التسلُّط على العالم

ولما تلا هلنغ الخطبة المشار اليها آنفاً قدَّم البرنس بولو استعفاءهُ الى الامبراطور فلم يقبلهُ اما لانهُ كان يريد ان يعزلهُ عزلاً او لانهُ لم يكن واثقاً ان هلنغ يعمل حسب مشيئتهِ تماماً بلا سؤال ولا خوف ولا تردُّد

وكان امام هلنغ حينئذٍ سبيلان الواحد ان يستعفي من خدمة الحكومة فيُنسى اسمهُ ولا يبقى لهُ ذكر يذكر . والثاني ان يستمر في الخدمة ويرتقي الى اسمى المناصب ولكن ذلك يضطرهُ الى اثارة حرب عوان لا تذكر في جنبها كل الحروب الماضية . فلا عجب اذا تردَّد في اول الامر لان السلم من طبعهِ والحرب من اكره الاشياء لديهِ . واني لا عجب من اختيارهِ الخطة التي اختارها وهي على ضد طبعهِ . تشبث عندهُ في تلك الاثناء عشاء عائليًّا انا وثلاثة غيري وهم الدكتور فردرك هلنغ ابن عمهِ وفون كيخ وزوجتهُ وهي اخت بتمن هلنغ . وفون كيخ هذا من اظرف الناس وافكههم حديثاً ولا سيما في ما يرويهِ من القصص الهزلية ومن القصص التي قصَّها علينا ان بتمن هلنغ ضعيف الذاكرة جدًّا حتى لقد يرى اخاهُ وينسى انهُ اخوهُ دخل يوماً دكاناً منفرداً حيث يشرب الشاي خاصاً انهُ لا يجد هناك احداً يعرفهُ ولما شرب فنجان الشاي دفع ثمنهُ للابنة التي تقبض الثمن من الزبائن فشكرتهُ وسمتهُ باسمهِ فاستغرب ذلك وقال لها كيف عرفتِ ان هذا اسمي فقالت لهُ لقد كنت خادمةً في بيتك

سبع سنوات ولم اخرج من عندكم الاَّ منذ سنة . ولما قص القصة التفت الى هلفنغ وقال لهُ كذبني ان لم تكن القصة صحيحة فاشار هلفنغ برأسهِ اشارة التصديق فقلت انا لكنيخ كيف عرفت انت هذه القصة فقال اني كنت جالساً معهُ على المائدة التي كان جالساً عليها ولكنهُ لم يعرفني . فضحكنا كلنا وشاركنا هلفنغ في الضحك

وبعد مضي ثلاثة اشهر على هذا العشاء عزم هلفنغ ان يستلم للامبراطور جسداً ونفساً على قول ابن عمهِ فردرك هلفنغ وبعد ذلك عُزل البرنس بولو ونُصب هلفنغ في مكانهِ وزيراً للامبراطورية الالمانية وذلك سنة ١٩٠٩ ومن ثم صار آلة في يد الحزب الحربي ولساناً ناطقاً بمقاصدهِ ومن القوى الايدي المنظمة لقوى الامبراطورية الالمانية حتى تغلب على المسكونة كلها حينما تأزف الساعة

ومرَّت سنتان على تربعهِ في هذا المنصب لم يبدُ فيها منهُ شيء يستوقف نظر الجمهور ولكنهُ كان كثير العمل فيها لان المانيا كانت تستعد للحرب استعداداً متصلاً وهو يرشدها في ذلك ويحرص حتى يكون استعدادها سرًّا وعلى اتم السرعة والكتمان . ولم التق بهِ حينئذٍ الاَّ قليلاً لكنني كنتُ ارى آثار الهم والتعب بادية على وجههِ وقلت لهُ مرة اراك كثير التعب فاذا دمتَ على هذا المنوال رزحتَ تحت حملك فقال « اصبتَ وانما يقتل الانسانَ همهُ وانشغال بالهِ لا عملهُ وتعبهُ » ولا شبهة في انهُ كان مهموماً جدًّا حينئذٍ ولو لم اكن اعلم سبب همهِ

وبعد سنة اشهر وقعت حادثة اغادير في المغرب الاقصى وذلك في اغسطس سنة ١٩١١ وكادت المانيا تعلن الحرب على انكلترا . وتفاقم الخطب لان الامبراطور والحزب الحربي كانوا يطلبون الخروج الى الحرب حالاً . وكان هلفنغ يتوقع ذلك منذ اشهر وقد بذل جهدهُ في تأجيلهِ لانهُ كان يعلم ان استعداد المانيا لم يكن قد صار على تمهِ . وقد بلغني انهُ في الليلة التي كان الناس ينتظرون ان تعلن المانيا الحرب فيها قابل هلفنغ الامبراطور وتوسَّل اليهِ ان يؤجل اعلان الحرب الى فرصة اخرى لان المانيا لم تكن على تمام الاستعداد لها . فاستدعى الامبراطور تربتز وفلكنهين وهندنبرج قُبَيْل نصف الليل وتذاكروا في الامر ملياً وبعد اربع وعشرين ساعة عُلم في الدوائر السياسية ان المانيا بلعت الموسى ونكصت على عقبها ولا خوف من اعلان الحرب حينئذٍ

وبعد نحو شهرين التقيت بضابط كبير من ضباط البحرية الالمانية كان نازلاً في بيت

كان فيه ثمن هلفغ ضيفاً فاخبرني ان واحداً من الحضور عنّف هلفغ لتكوصه في حادثة اغادير فاجابهُ اشكرْ ربك لانني تمكنتُ من التكوص حينئذٍ ولكن كن على ثقة ان المانيا ما عادت تتكوص بعد الآن بل تضرب حالما تُتحدَّى

ولقد حققت الايام قولهُ . ولا اعلم الى اي حد كان يمتد نظرهُ حينئذٍ ولا كم كان استعداد المانيا للحرب ولكنني اعلم علم اليقين انهُ صار بعد حادثة اغادير الدّ اعداء انكلترا واشد الناس تأييداً لمطالب الجامعة الالمانية فقد اضطر ان يبذل جهدهُ لمنع الحرب لما رآهُ من عزم انكلترا وحزمها فتمكنت كراهتها منهُ وصار يكرهها مثل اشد تلامذة ترتشكي كرهاً لها ولكنهُ لم يكن يجاهر بذلك الاّ بين اخص اصدقائهِ . وبعد حادثة اغادير بنحو سنتين كنتُ مسافراً من مونخ الى برلين واتفق انهُ هو كان مسافراً ايضاً ونزلنا في مركبة واحدة وحدّثنا فدار الحديث على مواضيع مختلفة الى ان انتهينا الى السياسة الخارجية وكان مذعوراً في كل ما يقول الى ان وصلنا الى حادثة اغادير فصمت ولم يقل شيئاً الى ان قلت انا ان تلك الحادثة مضت وانقضت وصارت في خبر كان . فاخذتهُ الحدة وقال كلاّ لم تمضِ ولا يمكن ان تمضي ما لم .... ثم توقّف وقال متمهلاً ما لم تأخذ المانيا بثارها من الدولة التي اهانتها

ان تاريخ هلفغ من سنة ١٩١١ فصاعداً تاريخ رجل عائش لغرض محدود يرمي اليهِ في كل اعماله وتدابيره وهو ان تصير المانيا قادرة على قهر غيرها اي ان تحارب عدوها وتقهرهُ غير حاسب حساباً لتأثير تلك الحرب في بلادهِ وفي غيرها من البلدان فانّ قهر الخصم غايتهُ والحرب هي السبيل الى ذلك فلا بدّ منها ولا مردّ لها ولا تردّد في ذلك

كان تربتز (وزير البحرية) يعتمد على التكيل بالعدو لاجل ارهابهِ مثل سائر رجال الحرب الحربي واما هلفغ فلم يكن كذلك في اول عهدهِ فقد سمعتهُ مرة يقول ان التكيل بالسكان غير المحاربين قصد ارهابهم عمل وحشي . ثم غيّر رأيهُ بعد ذلك منقاداً الى تربتز على ما يظهر وصار يأتي بآراء الحزب الحربي . ويظهر مقدار تغييرهِ لآرائهِ من بعض الخطب التي خطبها فلو اتفق الكونت تسبلن بنونهُ بحثت الدوائر الحربية والبحرية في مقدار فتكهِ بخطب هلفغ في وليمة بوزارة الخارجية ببرلين كنت مدعوًّا اليها ومدح المخترع لما اظهر من المهارة والهمة واشار الى منافع هذا البلون ثم قال « ولكن لا يحتمل مطلقاً انهُ يستعمل في وقت من الاوقات لقتل غير المحاربين في زمن الحرب بالقاء القنابل عليهم » . وبعد سنين قليلة رحّب بهذا البلون كواسطة لتهديد مدن العدو حتى يسلم او يخربها على رأسهِ

وبعد ما تربَّع في دست وزارة الامبراطورية صار الناس يعزون الى كل ما يقولهُ في مجلس النواب لاعتقادهم انهُ لا يتكلم الاَّ ويأتيهم بامر مهم . وهو غير ماهر في الخطابة فلا يستطيع ان يمتلك قياد سامعيهِ بفصاحتهِ وهذا عيبهُ الوحيد في عيني الامبراطور . وكل خطبهِ الحربية تعرض على الامبراطور فينقحها لهُ . ويظهر لي ان كل ما فيها من العبارات المقعرة هي من انشاء الامبراطور لا من انشائهِ لاني اعرف جيداً اسلوبهُ في الانشاء مثال ذلك قولهُ في ابريل الماضي « اننا لا نخشى الجوع ولا الموت ولا الشيطان » (وفي الكلمات الاصلية شيء من الجناس اللفظي)

وقد قابلتهُ بميد غرق الباخرة لوز يتانيا فقال لي ان اغراقها جاء اتفاقاً مثل كثير من الكوارث الحربية فلا اهمية لهُ . ثم قابلهُ رجل آخر من رجال السياسة فقال لهُ « ان العالم سيندهش من هذه الفظائع التي ترتكب في هذه الحرب » . وقبل الشروع في ارتكاب هذه الفظائع عرض ان يعقد الصلح مع الدول التي تحاربهُ والمرجح ان الامبراطور خاف من ان تصل هذه الفظائع اليهِ والى بيتهِ وشعبهِ فامرهُ ان يطلب عقد الصلح

وهو من الجبرية الذين لا يقدرون العواقب ولذلك عمل برأي والديهِ لمَّا ارادهُ ان ينتظم في سلك رجال الحكومة وقبل بما طلبهُ منهُ الامبراطور وجارى الجامعة الالمانية في كل مطالبها غير حاسب للنتائج حسابا

ولا اظن ان احداً يستطيع ان يقنعهُ ان المانيا اساءت في عمل عملتهُ او خالفت شرائع الامم المتمدنة لانهُ اذا رأى غاية واعتقد انها حسنة تستحق ان تطلب برُّ كل واسطة تستعمل لنيلها قائلاً ان الامور بمقاصدها اي انهُ لا يعد العمل صالحاً او طالحاً لذاتهِ بل بالاضافة الى ما يرمي اليهِ فيجب ان تستخدم كل وسيلة ممكنة لنيل الغاية المطلوبة فاذا نيلت نيلها والاَّ فلا مهرب من الفشل . وكل ما يحدث في سبيل الوصول اليها من الضرر والالم والشقاء لا شأن لهُ عندهُ ولا يستحق ان يُعنَى بهِ

وهو قوة هائلة في المانيا ما دام الامبراطور وراءهُ يحمي ظهرهُ فاذا تخلَّى عنهُ يوماً ما محي اسمهُ ونسي ذكرهُ كما جرى لرجال اخرين كانوا اعظم منهُ